الفصل الثاني
تطور ملكية الإعلام الروسي وانعكاساته

أولا: التطور التاريخي للإعلام الروسي

من أجل تفسير طبيعة تأثير الدولة الروسية على الإعلام يجب أن نأخذ فكرة عن التطور التاريخي للمجتمع الروسي ووسائل إعلامه.

إذ تعتبر الرقابة والتحكم والسيطرة أبعادا ضمنية مكينة في الخبرة الحياتية الروسية لقرون، فالدولة لها تقاليد سلطوية متجذرة تغلغلت في الحياة اليومية للروس، وجاءت هذه التقاليد كنتيجة لظروف الحياة الصعبة والحدود المترامية للدولة التي يجب الدفاع عنها من هجمات الأعداء من كل الجهات، وارتكز العيش تحت مثل هذه الظروف على وحدة الشعب الروسي تحت قيادة حاكم أو قائد قوى وعلى تنظيم سياسي تراتبي مسيطر.

وقد أثر المناخ السياسي كثيرا في تطور وسائل الإعلام الروسية، فقد تم تأسيس أول صحيفة روسية (فيدموستي) Vedomosti كوسيلة لإعلام الشعب بخطط وأمنيات الإمبراطور بطرس الأكبر.

وكانت الصحيفة متحكم فيها من قبل العرش الروسي، ولم يكن بطرس الأكبر ناشرها فقط ولكن من كتابها الفاعلين، والصحيفة لم يكن من بين أهدافها خدمة الجماهير بقدر إعلامهم بأولويات الدولة وحاكمها، وعلى عكس الصحافة الغربية التي كان يدفعها التنافس والمصالح الخاصة للرأسماليين، كانت الصحافة الروسية دوما أداة سياسية للحاكم.

١- الحقبة السوفيتية (١٩٢٢- ١٩٩١):

خلال الحقبة السوفيتية، قبضت الدولة بقوة على المؤسسات الإعلامية وتحكمت في مضامينها، ومن خلال الإعلام (الصحف – الراديو) قدم البلاشفة بعد ثورة أكتوبر ١٩١٧ نظاماً جديداً من الرموز والصور والطقوس الإعلامية بما في ذلك إعادة تعريف القيم الاجتماعية فتم استخدام الصحف

والراديو ثم التليفزيون بعد ذلك للدعاية للدولة وقيادتها وللنظام الشيوعي الذي يديرونه.

فالطبقة العاملة هي التي تمتلك السلطة في أي مجتمع اشتراكي، وحتى تحتفظ هذه الطبقة بالسلطة والقوة فإنها لابد أن تسيطر على وسائل الإنتاج الفكري التي يشكل الإعلام الجزء الأكبر منها، لهذا يجب أن تخضع وسائل الإعلام لسيطرة وكلاء لهذه الطبقة العاملة وهم في الأساس الحزب الشيوعي، والمجتمعات الاشتراكية تفترض أنها مجتمعات لا طبقية، وبالتالي لا وجود صراع للطبقات، لذلك لا ينبغي أن تنشأ وسائل الإعلام على أساس التعبير عن مصالح متعارضة حتى لا ينفذ الخلاف ويشكل خطورة على المجتمع.

وعندما حدد لينين اختصاصات الصحافة وأهدافها شدد على أن تخضع وسائل الإعلام للرقابة الصارمة، وأن تقدم وسائل الإعلام رؤية كاملة للمجتمع والعالم طبقا للمبادئ الشيوعية، وأن تبرز وجود قوانين موضوعية تحكم التاريخ، وكان للحزب الشيوعي فقط الحق في امتلاك وإدارة وسائل الإعلام من أجل تطويعها لخدمة الاشتراكية.

كان على وسائل الإعلام أن تخدم قيم النظام الأصيلة وتدعيم إيديولوجيتها المهيمنة على المجال العام من خلال الاتصال المباشر والروتين اليومي، وكانت المعلومات في النظام السوفيتي حق للنخبة فقط التي وجدت السبيل لقراءة الكتب والدوريات الممنوعة ومشاهدة الأفلام التي لا يجب أن يشاهدها المواطن الروسي العادي، في الوقت الذي تأسس فيه النظر للجماهير على أنها هشة ضعيفة تحتاج للحماية من أي مادة خطرة عليها.

وتم منع نشر التقارير السلبية عن أي شيء في الدولة السوفيتية بما في ذلك الكوارث الطبيعية أو حوادث الطرق أو اصطدام القطارات وكان هذا الفصل "العنصري" للإطلاع على المعلومات حاداً للغاية.

حتى أن وكالة تاس السوفيتية كانت تصدر نشرات خاصة للمسئولين الروس لا يجوز إطلاع العامة عليها وكانت تطبع على ورق له لون مختلف، ووصل هذا التقليد للمطبوعات الخدمية مثل خرائط الشوارع، والأدلة

كدليل التليفون، إذ كانت تعتبر أسراراً عسكرية، وكان للكتب الممنوعة نسخة خاصة للاستخدام الإداري فقط.

وكان للنموذج السوفيتي المركزي المغلق دوراً في انهيار الاتحاد السوفيتي لاحقا، فهذا النظام الصارم كان سببا في عجز النظام الشيوعي عن تبني اقتصاد المعلومات الذي بدأ يفرض نفسه على العالم منذ أوائل الثمانينات.

ومن التغييرات التي اعترت الصحافة السوفيتية في أخر ٥ سنوات من عمر الاتحاد، وبالتحديد في السنوات الخمس التي أمسك فيها ميخائيل جورباتشوف بمقاليد الأمور من ١٩٨٦ – ١٩٩١، أن الصحافة تحولت من (الأصل الثابت الذهبي للحزب الشيوعي) على حد تعبير ليونيد بريجنيف إلى كيان مستقل يراقب عمليات صناعة القرار، والحكومة، والتحول الديمقراطي.

أصبح الإعلام وبحق أكبر قوة معارضة للحزب الشيوعي في تلك السنوات الخمس الحاسمة والتي لم تشهد ظهور أحزاب سياسية جديدة، وأصبحت سياسة المصارحة أو (الجلاسنوست) جزءا من العمليات السياسية التي تجري في البلاد آنذاك، فيما كانت معبرا عن أكبر الدعوات في تلك الفترة وهي سيادة واستقلال الجمهوريات غير الروسية ومناداتها بالانفصال عن الاتحاد.

وشهدت هذه الفترة المبهمة السلطات المركزية تتدخل لتعديل مضامين بعض وسائل الإعلام الاتحادية ولكنها لم تعد هي السلطات التي تأمر فيستجيب إليها الصحفيون، إذ أن السلطات لم تعد "قاهرة" كما كانت عبر ٦٠ عاماً.

وشهدت السنوات الأخيرة قبل سقوط الاتحاد السوفيتي محاولات من بعض الصحف مثل (ليتراتورنايا جازيتا) للاستقلالية التحريرية بل والدعوة لإعادة البناء في سنوات بيرجنيف الأخيرة، بل وظهرت بعض الأصوات الناقدة للشيوعية في بعض المطبوعات مثل (نوفي مير) عام ١٩٨٩، أما الخطوة الحاسمة التي عجلت بانهيار الاتحاد السوفيتي فكانت قانون حرية التعبير في أغسطس ١٩٩٠ الذي أزاح الرقابة على الصحف وقنوات التليفزيون، وشهد عام ١٩٩١ قانونا جديدا للإعلام، وشهد أيضا بعض محطات التليفزيون ـ التي وقعت تحت تأثير

بوريس يلتسين ـ تذيع برامج مختلفة تماما عما تذيعه المحطات السوفيتية الأخرى.

وحذر بعض المنظرين منذ تلك الفترة الباكرة من ارتداد على حرية الصحافة التي يمكن أن تشهد ردة إذا لم ينظم الصحفيون أنفسهم، وبالفعل كان غياب التنظيم الذاتي للصحافة الروسية عاملا حاسما في رجوع هيمنة الدولة وهندسة الإعلام التي شهدتها سنوات بوتين.

وعلى صعيد أخر، كان المستوى المهني لوسائل الإعلام السوفيتية رغم غياب الحرية الإعلامية جيدا، وكانت هناك منظومة جيدة لتدريس الإعلام، وكانت توجد كليات صحافة بجميع الولايات على المستوى القومي، وكان هناك إعداد جيد للصحفيين لدرجة أنه عندما بدأت التحولات بالاتحاد السوفيتي كان مستوى الصحفيين لافتا للنظر، هؤلاء الصحفيون الذين كانوا يدينون بولاء كامل للدولة، لكن بعد سقوط الاتحاد السوفيتي بدأت تحدث تغيرات في المحتوى بالغة الخطورة.

٢ـ من النظام السوفيتي إلى روسيا المعاصرة (١٩٩١ـ ٢٠٠٠):

حظت وسائل الإعلام الروسية بفترة حرية نسبية عقب انهيار الاتحاد السوفيتي السابق، واستخدمت الصحف استقلالها الجديد لقيادة المعارضة ضد الحزب الشيوعي، وأصبح بوريس يلتسين أول رئيس روسي منتخب ومع مجيئه للسلطة انتهت فترة الأحلام بشأن حرية الإعلام على النمط الغربي.

وقد جمع رجال الأعمال الروس ثروة طائلة من خلال استغلال الأصول الاقتصادية للدولة واستغل رجال الدولة الرسميون الاعتماد المالي للشركات الإعلامية الخاصة على تلك الأصول لاستعادة الخط الرسمي للتغطيات الإخبارية.

ويصف أستاذ الإعلام ياسين زاسورسكي الذي كان عميدا لكلية الصحافة في جامعة موسكو لومونوسوف الحكومية هذه الفترة بأنها فترة تشكل فيها نظام إعلامي سياسي جديد، فبدلا من أن يكون الإعلام محكوماً بالحزب الشيوعي، أصبحت وسائل الإعلام معتمدة على اللاعبين

من الملاك وقلة رأسمالية أولجاركية، وبدلا من أن تصل الأخبار لأمة موحدة تحت أيديولوجية وحيدة، بدأت وسائل الإعلام تخدم مصالح تجارية واقتصادية أحيانا متعارضة، وظهرت الرقابة ولكن أصبحت متعددة الاتجاهات وبالتالي لا يمكن التنبؤ بها.

في هذه المرحلة انهارت أهمية الصحافة المكتوبة، ومع توقف دعم الدولة للصحف ارتفعت أسعارها وتداعى نظام توزيعها، وأصبح التليفزيون أقوى وسيلة إعلامية روسية، وبالنسبة للصحفيين الروس كانت الفترة التي أعقبت سقوط الاتحاد السوفيتي السابق فترة انتقالية متقلبة.

وكانت هناك أوقات خاصة بعد اقتحام البرلمان الروسي في أكتوبر ١٩٩٣ بدت فيها حرية الإعلام معرضة لخطر محقق، وفي أوقات أخرى وتحديداً أثناء الحرب الشيشانية الأولى فإن الاستقلالية التحريرية للصحافة الروسية أذهلت العالم المتابع لهذه الصحافة، وقد صاحب تلك الفترة تعددية في الأصوات والرؤى ووعدت بتطور (لم يحدث).

ولكن في نفس الفترة، واجه الصحفيون الروس صعوبات طارئة جديدة على رأسها الأزمة الاقتصادية التي تعرضت لها الصحف، وتمخض عن عدم ترسخ الديمقراطية الروسية أن أصبحت حرية الصحافة عرضة لتدهورها مرة أخرى (وهو ما حدث بالفعل).

ويرى باحثون آخرون أن الفترة التي ذهبت فيها الميديا الروسية للسوق تعد الحقبة الذهبية، فقد وجد الصحفيون أنفسهم يشاركون في ملكية الصحف بينما بقيت المطابع في يد الدولة وكذلك خدمة التوزيع بالبريد، كما زادت تكاليف إنتاج الصحف في حقبة كان الكل يبحث فيها عن روبلات سهلة سريعة.

وبدأ رؤساء التحرير يدرسون آليات السوق التي لم يعرفونها، واكتشفوا أن الصحف لا تعيش على القصص الخبرية الجيدة ولكنها تعيش على المعلنين والمستثمرين.

وشاعت تعبيرات مثل: (الرأسمالية الصديقة)، (رأسمالية بارونات اللصوص) في العقد الأخير من القرن الماضي عندما قسمت ثروة البلاد بين عدة بنوك ومجموعات استثمارية، وسرعان ما سادت أخلاقيات العلاقات العامة ورغبت هذه المجموعات الاقتصادية ليس فقط في حيازة الأرباح ولكن التأثير أيضًا وكانت الميديا الروسية في أيدي الرأسمالية على حد تعبير رجل الأعمال الأمريكي جورج سوروس الذي كان يدعم الدوريات الأدبية الروسية.

على سبيل المثال، في صيف ١٩٩٧ تحولت صحيفة (إزفستيا) الحكومية إلى صحيفة خاصة يملكها رجل البنوك (بوريس بيريزوفسكي) ومنه إلى (فلاديمير بوتانين) الذي تحكم في أغلبية الأسهم وأقال رئيس التحرير من منصبه مما اضطر بقية المساهمين إلى إصدار (إزفستيا الجديدة) وتعيين الصحفيين المقالين من الجريدة الأولى.

ويعد عمدة موسكو السابق (يورى لوجكوف) ـ الشخصية السياسية التي كانت تسعى للترشح لانتخابات ٢٠٠٠ ـ مثالا أخر على التحالف مع رأس المال عندما تحالف مع رجل البنوك (فلاديمير جوسينسكي) الذي كان يتحكم بأغلبية أسهم صحيفة (سيفودنيا) وما كانت تسمى بالقناة التليفزيونية المستقلة، وعندما تخلى رجل الأعمال عن العمدة لجأ الأخير إلى إنشاء قناة تليفزيونية أسماها (القناة المركزية) معتمدا على تمويلها حكوميا.

وقد اختفت الصحف القديمة التي كانت تطبع في عدة مدن وتوزع قوميا وأضحت ٧١٪ من الصحف محلية تخدم المصالح الضيقة لحكومات المقاطعات، فمن يدفع أجر العازف هو الذي يحدد اللحن الذي يلعبه.

وكانت (ومازالت) الحكومات المحلية ذات قبضة قوية على الصحافة المحلية لأن القائمين عليها يتحكمون في المطابع والتوزيع والتسعير والرواتب، ويكافئون الأصدقاء ويعاقبون الخصوم، وإذا كانت هناك ثمة صحافة معارضة فإنه يتم إغلاقها، ولذا تلجأ ربما لطباعة صحيفتها في المقاطعة القريبة، ويتم استخدام الصحافة المحلية في معارك وخصومات رجال السياسة في المحليات، وليس نادرًا ما تؤسس قنوات تليفزيونية محلية

باستخدام صناديق المقاطعة المالية وتستعر هذه الصراعات في ولايات أقصى الشرق أو ولايات التخوم.

وأصبحت وسائل الإعلام أبواقا للصراعات القوية التي تمزق القوميات، فهناك الطابع القومي الروسي، والقومي اليهودي، والقومي السوفيتي لجمهوريات روسيا الاتحادية المتمتعة بالحكم الذاتي، وحدث تمزيق لبنية الإعلام مما جعل النزاع أكبر ومعظم الصحفيين أصبحوا يقودون دعوات للاستقلال، كما أخذت الصحف الشبابية تنشر أشياء خليعة وأكثر مرونة ومجلات جنسية.

واعتبرت الباحثة الأمريكية من أصل صيني (وينجي زانج) Zhang أن الإعلام الروسي فشل في هيكلة نفسه على النمط الغربي إذ تخلفت عن حقبة التسعينات فوضى إعلامية في الملكية وشطط في النقد، وانغماس في الصراع السياسي والاقتصادي الأمر الذي أعطى السلطة السياسية إشارات خطر جعلتها تعيد السيطرة على وسائل الإعلام الروسية بشكل غير مباشر متبعة آليات شتى تعفيها من التأميم والسيطرة المباشرة على النمط السلطوي.

فمن وجهة نظر ليبرالية، تعتبر حرية الإعلام ضرورية لصحة الديمقراطية لأن حرية إتاحة المعلومات تخدم الوظيفة الرقابية، وذلك بالتأكيد على أن ممثلي الشعب المنتخبين سوف يتمسكون بالقسم الذي أقسموه قبل توليهم المناصب العامة وسوف ينفذون أمنيات الجماهير التي انتخبتهم، ففي بعض الأحيان تمثل العداوة بين الحكومة والإعلام دليل صحة حيوي على أن الديمقراطيات تعمل بشكل كفء.

وتأسيساً على ذلك، فإن هدف فترات تحولات الإعلام تبغي دائماً تحويل وسائل الإعلام المسيطر عليها من قبل الحكومات أو المصالح الخاصة لوسائل إعلام منفتحة متحررة تتمتع بقدر كبير من الاستقلال التحريري الذي يخدم المصلحة العامة.

ويتم قياس مدى تحقق المصلحة العامة بتعددية الأصوات داخل وسائل الإعلام، ليس فقط داخل وسائل الإعلام بشكل مسموعة / مرئية / مقروءة

ولكن داخل كل نوع على حدة، وعلى الرغم من أن خطاب إصلاح الإعلام ارتكز على ضرورة استيراد المفاهيم الغربية الديمقراطية لحرية الإعلام، فإن القصورات في التطور الاقتصادي والسياسي مثلت عقبات هائلة في طريق تحول وسائل الإعلام الروسي.

على أحد الأصعدة، وتحت الرئاسة الفائقة أو الرئاسة السوبر للرئيس يلتسين ومن بعده فلاديمير بوتين، فشلت روسيا في تحرير سوق الإعلام وتحرير الصحفيين من القيود التي عانوها في الحقبة السوفيتية.

وعلى صعيد أخر، فإن الفشل في التحول من الاقتصاد المخطط إلى الاقتصادي الحر فضلا عن وقوع الفترة الانتقالية في فترة أزمة اقتصادية عالمية منتصف التسعينات دمرت المقومات المالية للإعلام الروسي.

في الفترة الرئاسية الأولى للرئيس بوريس يلتسين، لم تكن النزعة السلطوية بنفس وضوح سنواته الأخيرة، ففي بداية التسعينات خبرت الميديا الروسية فترة ذهبية قصيرة فساندت التخلص من الآليات الرقابية للدولة، وكافحت من أجل التحرر من اعتماد وسائل الإعلام على دعم الدولة ومساعداتها، وعلى الرغم من ذلك ونتيجة لتأثرها بجماعات مصالح مختلفة ظل صوتها ضعيفاً ومنخفضاً وعندما واجهتها الصعوبات الاقتصادية القوية وإرادة يلتسين بالتحكم في وسائل الإعلام، وصلت لحل وسط معه.

وفي فترة يلتسين الثانية فإن الأمل بتحرير الإعلام من كل القوى تحطم على يد تحالف (قلة من الملاك) والرئيس، ومنذ تلك الفترة بدأت وسائل الإعلام الروسية وكأنها تحن إلى الفترة الشيوعية، فلم تصبح فقط جواز مرور رجال الأعمال إلى السلطة والقوة، ولكنها أصبحت مثل الحلوى في يد الرئيس الذي يريد إرضاء القلة الأوليجاركية وكبح جماحها في آن، وسلاحاً قوياً لتحقيق طموحاته السياسية.

في هذه الفترة، لم يستطع ممارسو الإعلام أن يوفوا بالتزاماتهم تجاه الجماهير، وكان من الصعب الإشارة لهم على أنهم صحفيون أو محررون أو معلقون فقد كانوا أقرب لرجال الأعمال، باعوا أقلامهم ورؤاهم وشرفهم المهني

للرئيس والقلة الأوليجاركية من أجل أن يعيشوا، من أجل البقاء والتمتع بالنزعات الاستهلاكية التي انفتحت شهيتهم لها.

وعلى الرغم من أن وسائل الإعلام الروسية نجحت في الحصول على استقلالية تحريرية من نوع ما خلال العقد من ١٩٩٠ – ٢٠٠٠، إلا أن المشاكل التي واجهتها في العقد الأخير أجبرت معظمها على قبول تغييرات محت الحرية التي تمتعت بها خلال هذه السنوات العشرة.

وقد أعطت انتخابات عام ١٩٩٦ الرئاسية والحملات التي واكبتها كلا من السياسيين ورجال الأعمال دوافع قوية للتحكم المالي في وسائل الإعلام، وسهلت الاعتماد المتزايد لوسائل الإعلام على الأفراد الأغنياء وجماعات البيزنس والقادة السياسيين، في ظل محاولات الملاك والمعلنين استخدام هذه الوسائل كأسلحة سياسية.

وفي نهاية فترة يلتسين الثانية، خطط مسئولو الدولة لإستراتيجية واسعة النطاق تستخدم بشكل أمثل مقدرات الدولة الإعلامية وتحجم الاستقلالية التحريرية لوسائل الإعلام الخاصة، وكان في اعتماد أغلبية وسائل الإعلام على جماعات المصالح والبيزنس بذور نهايتها إذ نجحت سياسات الدولة بتخطيط من «الداهية» بوتين في السيطرة على وسائل الإعلام دون اللجوء لإجراءات التأميم، بل أجبر رجال الأعمال على البيع لمؤسسات اقتصادية وترعاها الدولة وعلى رأسها مجموعة (جازبروم) العملاقة.

١ـ مرحلة بوتين (٢٠٠٠ـ الآن):

في بداية فترة فلاديمير بوتين الرئاسية الأولى، بدا الوضع الإعلامي محبطاً ومثقلاً بالمعاناة، إلا أن روسيا كلها كانت تنتظر تغييرا على يد قائدها القوي الذي بدأ في تكوين إمبراطوريته.

ويعتبر معظم المحللين السياسيين بوتين محظوظًا بشكل كبير، فقد بزغ نجمه عندما غرقت روسيا في وحل التراجع الاقتصادي والانشقاقات السياسية التي مزقت الحياة السياسية، ويصدق عليه المثل الصيني الشائع: «البطل هو ابن زمنه»، وبشكل مفارق يبدو بوتين بطلا ارتفع فوق الفوضى في روسيا.

وأعاد نجاحه بناء الاقتصاد القومي وحسّن من الوضع المعيشي للمواطنين مما زاد من شعبيته ودعم الشعب الروسي لإدارته، وعندما وضع نصب عينيه هدفه بأن يجلو صورة روسيا أمام العالم، حاز بوتين على قوة سياسية طاغية.

وحوّل سلطته النافذة ضد الصحفيين والقلة الإوليجاركية على حد سواء، الذين تحكموا في معظم المقدرات الإعلامية للبلاد، وساعدته على ذلك الإستراتيجية الإعلامية التي اقترب بها من القضايا السياسية الحساسة ككحرب الشيشان الثانية، وواجه الصحفيون والمحررون الذين كانوا ضد الحكومة في هذه الفترة التهديد بالاعتقال أو حتى القتل.

وعندما تولى بوتين السلطة اصطدم باللوبي الصهيوني، وقد اتبع معهم منهجا قانونيا واقتصاديا فبدأ يطالب الشركات المخصخصة بالضرائب والرسوم فلم يدفعوا، فاستولى على أسهمهم وحول ملكية معظمها لمجموعة (جازبروم) التي تمتلك الدولة أغلب أسهمها أي أنها عادت لملكية الدولة بشكل قانوني، ومن لم يعد أصبح يعرف أن سيف الدولة القانوني مسلطا عليه.

وفي مارس ٢٠٠٨ عقد بوتين صفقة مع صديقه وتلميذه الرئيس ميدفيديف ليتولى الأخير الرئاسة فترة رئاسية على أن يستمر بوتين رئيسا للوزراء ومهندسا للقوة الروسية من وراء ستار، وأكدت الصفقة نجاح إستراتيجية بوتين في فترتيه الأوليين، وفي هذه الفترة لم يعد بوتين فقط الزعيم الذي يحظى بشعبية طاغية في روسيا بل تعدى ذلك إلى حيازة الشعبية والاحترام خارج روسيا.

وتأسيسًا على ذلك، لم يكن من المرجح أن يغير سياساته حيال الإعلام ولكن مع التطور الديمقراطي وتحسين الاقتصاد كان بوتين متأكدًا من شيء واحد: أن الشعب الروسي لم يكن سعيداً بالنزعة السلطوية التي تمارسها الحكومة على الإعلام على المدى الطويل.

بدأ بوتين في تخفيف هذه القبضة وتغيير استراتيجيات السيطرة ليحولها لأساليب أكثر نعومة وأقل مباشرة ليصل لنقاط وسط وتسوية مع الإعلام

والأصوات السياسية الأخرى، ولعل استجابته حيال أزمة المسرح في موسكو كانت علامة على ذلك، وفي ٢٠٠٢، اعترض بوتين على تعديلات قانون الصحافة والقانون المكافحة للإرهاب التي تضع قيوداً جديدة على الإعلام، إلا أن مجلس الدوما الروسي أقر التعديلات قبيل الحادث الإرهابي الكبير للمسرح الروسي.

وعلى الرغم من أن الصحفيين كانت لديهم شكوك حيال القيود القانونية على العمل الصحفي في فترات الأزمات، فإنهم رحبوا باعتراض بوتين ووجدوا فيه علامة ما على توسيع الهامش الديمقراطي.

في السنوات الأولى لرئاسة فلاديمير بوتين، رجع التحكم السياسي الحكومي لقنوات التليفزيون القومية، وبتولي بوتين السلطة، تبني عددا من السياسات التي استهدفت تقليل استقلالية وسائل الإعلام الجديدة، وزاعماً أنه يحرر وسائل الإعلام من سيطرة القلة الرأسمالية، شنَّ حملة لضم كل قناة تليفزيونية ذات تأثير إلى حظيرة التحكم الحكومي.

ونتيجة لذلك أصبحت القنوات الروسية الرئيسية الذائعة الصيت وعدد كبير من الصحف تحت تحكم الدولة والكرملين.

وهذه الإمبراطورية الحكومية الجديدة تضم وكالتي الأنباء: إيتار تاس ورايا نوفوستي (التي تحولت في ٢٠١٤ إلى روسيا اليوم)، محطات الراديو الرئيسية: راديو مایاك وراديو روسيا، وقنوات التليفزيون الفيدرالية أو الاتحادية مثل، وروسيا و NTV وأصبح التحكم في التليفزيون الحكومي مهما لأن أكبر الوسائل نشرا للأخبار بين الغالبية من الروس، ففي دراسة أجرتها المؤسسة الحكومة الأمريكية BBG، أوضحت أن ٩٥٪ من الجمهور الروس يتعرض للتليفزيون على الأقل مرة في الأسبوع.

وبينما دفعت القيود الدستورية بوتين للتخلي عن الرئاسة في الفترة من ٢٠٠٨ـ ٢٠١٢، فقد ظل رئيس الوزراء وأقوى شخصية في روسيا وهو حتى الآن أقوى زعيم سياسي واستمر احتفاظه بعلاقات قوية للغاية مع ملاك وسائل الإعلام الروسية التي تشكل التيار العام.

ومع رجوعه للرئاسة عام ٢٠١٢، أحكم بوتين قبضته على وسائل الإعلام التقليدية والالكترونية، فشهدت الصحافة المكتوبة يد الدولة القوية الباطشة تتدخل في تحريرها أثناء وبعد أزمة القرم.

وتسببت الضغوط السياسية القوية من الكرملين في إعادة هيكلة وسائل الإعلام الروسية الكبرى وتغيير قياداتها، وتضمن ذلك تصفية وكالة الأنباء الرسمية رايا نوفوستي وإقصاء يوري فيندكتوف مدير راديو (Ekho Moskovy) إيكو موسكوفي، الراديو الذي كان يتمتع بأعلى سقف للحرية في روسيا.

ولكن لماذا يبدو وضع الإعلام معقدا في روسيا لمن يتابعه؟، لأن عوامل كثيرة تتشارك في المشهد الراهن: تراث الحقبة السوفيتية، خصائص الصحافة الروسية، السلطات، بنية الملكية، التشريعات، والقيم المهنية الصحفية.

وهذا يقودنا لنظام مزدوج بمثل ما يشيع عن الازدواجية في المجتمع الروسي، ويتكون النظام المزدوج من: الإعلام شبه المستقل ذو الصوت المعارض

الذي يتمتع بحرية الكلام ويشمل عدة صحف ومحطة راديو واحدة وعدد من مواقع الإنترنت، ثم إعلام التيار السائد بمعظم الصحف القومية والمحلية وكل قنوات التليفزيون ومعظم محطات الراديو فيما عدا واحدة (إيكو موسكوفي) الذي يتبع الخط السلطوي ويخفى الأصوات الأخرى، وحتى الأخيرة جرى التخلص من مديرها وتغيير سياستها التحريرية.

ويرى دارسو الإعلام الدولي أن النظام الإعلامي الروسي الحالي لا يمكن أن يقارن بالنظام الإعلامي السوفيتي بعد ستالين وإن كان هناك بعض المشابهات ويخبر الصحفيون مجتمعاً لا يوفر الحماية لهم من العنف والتنكيل والتطبيق العشوائي والانتقائي للقانون وتحاول وسائل الإعلام المناورة في ظل ظروف غير آمنة محاولة إرضاء الملاك والمعلنين والمشرعين والسلطات الفيدرالية والمحلية، إذ لا يمتلك المواطن الروسي القدرة على مساءلة السلطات

سواء كانت فيدرالية أو محلية، وقدرته على جعل هؤلاء الذين أنتخبهم مسئولين عن أفعالهم بعد الانتخاب تكاد تكون منعدمة.

ويسمى متخصصو العلوم السياسية هذه الظاهرة بالديمقراطية المسرحية، وفيها يتم إجراء انتخابات مسرحية تحت ظروف تتأكد فيها الحكومة من إعادة انتخابها، ويرى أحد مستشاري بوتين ويدعي (سوركوف) أن على روسيا أن تبنى ديمقراطيتها على طريقتها وبما يناسب ظروفها، ولتحقيق ديمقراطية ذات سيادة يجب أن يظل حزب روسيا الموحدة في سدة الحكم من ١٥-٢٠ سنة.

وتمتلك روسيا الحالية مشابهات قوية مع الديمقراطية المسرحية، تجري الانتخابات لكي تجئ بحزب روسيا الموحدة الحاكم لمقاعد الدوما محتلا أغلبية مريحة.

وبالتحكم في الانتخابات يجري التحكم في التغطية الإعلامية لتبدو كما لو كانت نزيهة، فالنظام الإعلامي الروسي تم هيكلته ليقنع أغلبية الجماهير بضرورة إعادة انتخاب الحكومة، وتحافظ قنوات التليفزيون على مظاهر الدولة الناجحة الكفء التي تمتلك حكومة ترعى مصالح المواطنين.

بينما تقدم وسائل الإعلام المستقلة خدمات صحافة نقدية واستقصائية فقط للنخبة المثقفة وللدول الغربية طالما هذه النخبة وهذه الصحافة لا تأثير كبير لها يعرقل مسيرة حزب روسيا الموحدة والحكومة المظفرة في الاستحواذ على السلطة، ويعمل النظام الإعلامي في صالح الحكومة السلطوية أكثر مما يشجع على اتجاهات ديمقراطية مسئولة.

ولذا فإنه في روسيا كان هدف (خلق قطاع إعلامي داعم للديمقراطية) هدفًا صعب التحقيق، فبعد ٢٥ عاما على الانتقال من مصارحة جورباتشوف إلى الوقت الحاضر، انتقل الإعلام الروسي فقط من ماكينة الدعاية الشيوعية إلى منتج سلطوي متأثر بالأيديولوجية الغربية وبقايا الأيديولوجية الشيوعية، وكل المؤشرات تقول أن تحرير الإعلام الروسي كان فشلاً ذريعا، وتؤكد أن الإعلام الروسي الحالي هو نوع ما من الإعلام سلطوي يهجن طرائق التحكم والسيطرة المباشرة والخفية للكرملين والرئيس.

١ـ سوبر بوتين: استخدام التليفزيون على النمط الغربي كتعبير عن القوة أو السلطة

على المستوى الجمالي الشكلي، تبدو قنوات التليفزيون الإخبارية الروسية نسخة كربونية من الـ CNN والـ BBC، حتى أنها تستخدم موسيقى مشابهة، ولكن في الدور الذي تلعبه فإنها تعمل بمثابة مجامر البخور التي من خلالها يتم تقديس شخص الرئيس بوتين على حد تعبير أستاذ الإعلام السياسي (ياسين زاسورسكي).

وانتشرت الصور حول العالم للرئيس بوتين وهو يمتطى صهوة جواده عار الصدر، وهو يطارد النمور، وهو في ملابس جلدية يقود أحد الدراجات النارية الهارلي، وهذه الصور التي تصور بوتين كنجم لأفلام الأكشن تم زرعها وتدويرها للترويج لصورة البطل الخارق أو الإمبراطور الذي يتعالى على نزاعات السياسة الحقيقية، بطل نبيل يريد روسيا قوية وموحدة.

وهناك مشهد يعاد باستمرار في البرامج الإخبارية يظهر فيه بوتين وهو مجتمع بقادة المحليات ومحافظي الأقاليم يتهمهم بإفشال البلاد، والتاريخ يعاد كتابته اعتمادا علي هذه الصور.

يضع الأوتوقراطيون الروس المعاصرون - بفضل الكتب المدرسية الجديدة وعروض التليفزيون - بوتين ضمن تقاليد القادة الروس العظام "الأقوياء" منذ القيصر إيفان الرهيب مرورًا بالإمبراطور بطرس الأكبر وحتى جوزيف ستالين.

وفي الكتب والتليفزيون، تم تخفيف نغمة النقد لجرائم ستالين وتم التأكيد على انتصاره في الحرب العالمية الثانية، فالتاريخ كأي شيء أخر في حالة سيولة ويمكن تشكيله ليلبي الاحتياجات السياسية الحديثة والآنية.

وحتى الآن على الأقل، فإن هذا المزيج من صورة السوبرمان والقيصر والمستبد ناجح للغاية حتى وإن كانت الموافقة على سياسات الحكومة أقل

من ٥٠٪ ، ومع أن ٥٪ فقط يرون أنها جذابة للغاية، إذ إن شعبية بوتين لم تقل أبدًا عن ٦٠٪.

ويخدم نظام الانتخابات الروسي وظيفة مماثلة، فالمراقبون الروس دائمًا يتحيرون من هذا التناقض الواضح: إذا كانت شعبية بوتين عالية حقًا وإذا كانت المعارضة الحقيقية تم حجبها من الظهور التليفزيوني، فلماذا إذن مازال بوتين في حاجة إلى إجراء انتخابات سيفوز بها على أية حال وتحت أي ظروف؟!، وأليس بوتين سيكون أكثر مصداقية إذا اصطنع منافسا حقيقيا له على مسرح السياسة الروسية حتى يثبت أنه منتخب ديمقراطيًا؟!

ولكن هذه الأسئلة تسئ تفسير دور الانتخابات في روسيا، فهدفها الأساسي هو أن تظهر بوتين على أنه متعال لا يمكن لمسه أو النيل منه، وأي مناقشة قد تفسد وتدمر صورة بوتين وليس العكس.

والأولوية التي تلح على الكرملين هو أن يظهر بوتين على أنه متحكم بسيناريو الأحداث، وهي نفس الأولوية التي تظهر القادة المستقلين في محاكمات صورية هزلية مثل محاكمة رجل الأعمال اليهودي (ميخائيل خودوركوفسكي) الذي لم يستطع الكرملين استقطابه واستيعابه عام ٢٠٠٩ ومحاكمة المعارض الروسي (إلكسي نفالني) عام ٢٠١٣ والتي كانتا مليئتين بالعبث واللامعقول: فقد تم اتهام الأول بأنه سرق بترولا من شركته، والثاني بإدارة أعمال فاسدة من دون دليل عليها.

كان هذا العبث متعمدا، وهو يظهر للرأي العام وللمواطنين أن الكرملين يمكن أن يتلاعب بالأحداث كيفما يشاء، يمكن أن يقول على الأسود أبيض وعلى الأبيض أسود دون أن يجد مَنْ يعارضه.

١ـ قيود شديدة على المستثمرين الأجانب في سوق الإعلام الروسي (قانون ٢٠١٤):

وبحلول عام ٢٠١٤، لم يعد بوسع الأجانب أن يؤسسوا وسائل الإعلام في روسيا أو يتملكوا حصصاً كبيرة بها أو أن يسيطروا على محتواها التحريري إذ قرر البرلمان الروسي (الدوما) أن يوافق على التشريع الجديد الذي تم تحرير مسودته الأولى في ١ أكتوبر ٢٠١٤، وحصر القانون الجديد الملكية غير المباشرة من قبل الأجانب في ما لا يزيد عن ٢٠٪.

يؤثر القانون الجديد على وسائل الإعلام المطبوعة ونسخها الالكترونية وعلى محطات الراديو والتليفزيون، ونتيجة لصياغة القانون الموسعة المطاطة فإن القانون الجديد يؤثر أيضًا على الأعمال التي تستخدم التجارة الإلكترونية رغم أن القانون لم ينص صراحة على ذلك، ولكن تأويله في هذا الاتجاه أصبح ممكنا للغاية.

ويعرف «القانون الجديد» الأجانب على أنهم:

- دولة أجنبية أو مؤسسة دولية أو أي كيان يتحكمون به
- كيان قانوني أجنبي
- كيان قانون روسي يملك الأجانب به أكثر من ٢٠٪
- شخص أجنبي (فرد)، شخص غير حامل لأي جنسية

ويمنع هؤلاء من الآتي:

- تأسيس أو المشاركة في تملك أو العمل كمكتب تحريري لأي وسيلة إعلامية روسية جديدة.
- ملكية أو إدارة أو التحكم (بشكل مباشر أو غير مباشر) بأكثر من ٢٠٪ من أسهم أي شركة إعلام روسية أو العمل كمكتب تحريري لها.
- أي مالك لأسهم شركة إعلامية قائمة عليه أن يخفض نسبة أسهمه لأقل من ٢٠٪، ويتخلى عن إدارة تحرير وسيلته الإعلامية.

ويراقب تطبيق قانون (الخدمة الاتحادية للمراقبة التابعة لدائرة الإعلام بوزارة تكنولوجيا المعلومات ووسائل الإعلام) Roscomnadzor، وأي كيان إعلامي قائم يفشل في توفيق أوضاعه وفقا للقانون يتعرض لمخاطر وقف أنشطته الإعلامية من قبل مؤسسة الدولة المسماة Roscomnadzor ويبقي تفسير القانون وإدخال الشركات في دائرته التطبيقية مسألة وقت فور تمرير القانون بشكل نهائي.

وقد وقع الرئيس الروسي بوتين القانون الجديد ١٤ أكتوبر ٢٠١٤ ثم غدا فعالا بدءا من الأول من يناير ٢٠١٦، وأعطيت تمنح وسائل الإعلام فترة سماح لا تتجاوز أول يناير ٢٠١٧ إذا تم تحويل ملكية أغلب الأسهم إلى ملاك روس يملكون أكثر من ٨٠٪ من هذه الكيانات الأجنبية إذا تم الموافقة على هذه التعديلات قبل ١ فبراير ٢٠١٦.

وأصبح للقانون الجديد تأثيرًا هائلا على الشركات الأجنبية العاملة في مجال الإعلام الروسي وامتد إلى الشركات التجارية الإلكترونية على الإنترنت، وسوف يتم اكتشاف طرق تطبيق القانون وتوفيق الأوضاع قريبا لأن طرائق التوفيق أيضاً من المرجح أن تكون متعددة بإعادة هيكلة الكيانات القائمة بالفعل، وربما يقتضي الأمر نزع الملكية قائمين كحل نهائي.

والاستثناء الوحيد من هذه التعديلات على قانون الإعلان الروسي هو أن تكون هناك معاهدات ثنائية أو متعددة الأطراف تكون روسيا طرفًا منها ويقرر منها ويقرر منها الاتحاد الروسي حماية استثمارية معينة لطرف دولي وعدد المعاهدات الروسية التي توفر هذه الحماية جد قليل وكل حالة سوف تعالج بإنفراد.

ومن المؤسسات الغربية التي وسعت خدماتها بالروسية وسوف يطالها هذا القانون: وكالات الأنباء: رويترز، والفرنسية، والأسوشيتدبرس، والصحف الاقتصادية التي حظت بشراكة لا يستهان بها من مجموعات أوروبية وأمريكية مثل: Delovoi Petesburg المملوكة من قبل المجموعة السويدية Bonnier وصحيفة Vedomosti التي أطلقتها مجموعة الاينشيال تايمز ووول ستريت جورنال وصحف بريطانية مثل ـ Indepe dent.

وتعتبر المجموعات الخارجية فاعلة أيضًا في ملكية الإعلام الروسي خاصة ملكية المجلات والصحف الاقتصادية، ولها أسهم في تمويل الإعلام والبرامج الجماهيرية عابرة القومية (Got talent)، (النجم)، و(من سيربح المليون) وغيرها.

ثانيا: مَنْ يملك ماذا في الإعلام الروسي؟

من بين مصادر التعرف على ملكية الصحف في العالم تقرير المتابعة لمؤسسة BBC ومركز بيلفر للعلوم وبحوث الشئون الدولية التابع لجامعة هارفارد الذي تم إنشاءه في إطار مشروع (تقوية المؤسسات الديمقراطية).

ويقسم خبراء ملكية وسائل الإعلام الروسية الذين درسوا ديناميات ملكية الإعلام في روسيا ما بعد السوفيتية ربع القرن الأخير إلى فترتين: من (١٩٩١ـ ٢٠٠٠) ثم من (٢٠٠١ـ ٢٠١٦).

وتتميز الفترة الثانية بمجيء بوتين للسلطة وخطته في نزع ملكية وسائل الإعلام من المعارضين من الملاك الأولجاركيين وقسر المؤسسات الموالية للحكومة على شراءها، بينما يشبه الخبراء الفترة الأولى في التسعينات بالتعبير الإيطالي Lottizzazione أو تقسيم الغنائم، والتي تمتعت فيها الصحافة بحرية مشروطة أو محكومة بتصارع الملاك على القوة السياسية، وبالطبع لم يعد هذا التنازع موجوداً في فترة بوتين التي تتميز بالحدود غير الواضحة، إذ أن معظم الميديا المملوكة ملكية خاصة موالية للكرملين وبوتين ولها بيزنس مشترك مع الحكومة.

وسائل الإعلام المملوكة للدولة

١ـ وكالات الأنباء:

- روسيا اليوم Russian Today (رايا نوفوستي سابقا: Previously RIA Novosti)

تأسست عام ١٩٤١، ولها ٧٠ خدمة معلوماتية على الإنترنت بـ ١٤ لغة مختلفة وبجانب خدمة الأخبار ذات الوسائط المتعددة، فهي تملك أيضًا خدمة الأخبار الاقتصادية المسماة Prime، وفي عام ٢٠١٤ تم تصفية وكالة رايا نوفوستي، وورثت مكاتبها وكالة جديدة اسمها روسيا اليوم.

- إيتار تاس ITAR – TASS

تأسست عام ١٩٠٤، ولها ٢٠٠ خدمة معلوماتية تغطي الشئون السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والرياضية بست لغات مختلفة.

١ـ الصحافة المطبوعة:

- صحيفة روسيسكايا جازيتا Rossiyskaya Gazeta

صحيفة يومية تعد الناشر الرسمي للوثائق والمراسيم الحكومية، أسستها الحكومة الروسية عام ١٩٩٠ وهي أهم صحيفة حكومية، تنشر أيضا الأخبار والتحليلات السياسية والاجتماعية، وتصف قراؤها بأنهم من البالغين الذين يتميزون بهادئ الطباع والميول المحافظة.

- بارلمنتسكايا جازيتا Rarlamentskaya Gazata
- تأسست من قبل المجلس الاتحادي (الدوما) في عام ١٩٩٨.
- كرسنايا زفيزتاKrasnaya Zvezda
- المصدر الرئيسي للمعلومات والأخبار المتعلقة بوزارة الدفاع الروسية
- موسكوفسكايا نوفوستي Moskovskiya Novosti

صحيفة يومية تصدرها وكالة روسيا اليوم (رايا نوفوستي سابقا) بالروسية والإنجليزية والعربية.

١ـ الراديو والتلفزيون:

- فيجترك القابضة Vgtrk Holding

تكونت شركة (فيجترك) لتلفزيون وراديو الدولة عام ١٩٩٠، وانتهت لشكلها النهائي عام ١٩٩٨ وتدير المجموعة الحكومية (أو شركة قطاع الأعمال العام) كل من: القناة الأولى والثانية الروسية، وقناة K الشبابية، وقناة بابي جون.

- زهاء ٩٠ قناة راديو وتليفزيون محلية.
- شركة روسيا ٢٤ والتي تمتلك: RTR Planeta، الخدمة الروسية لقنوات Euro news، وخمس محطات راديو جماهيرية: Radio Kayak ، راديو روسي Rossi، الثقافة Kultura، فيستى إف إم Vesti Fm، وراديو يونست Yunost.
- مجموعة زفيزدا الإعلامية: التي تمتلكها وزارة الدفاع الروسي وتدير محطة راديو وقناة تليفزيون تحت اسم النجم أو Zvezda.

وسائل الإعلام المملوكة لحكومة مدينة موسكو

١ـ وكالات الأنباء: لا يوجد

٢ـ الصحافة المطبوعة:

- تافرسكايا ١٣

الصحيفة الرسمية لحكومة موسكو وقد تكونت من شركة متحدة ما بين عمدة موسكو والدار الحكومية الروسية وتصدر صحف: موسكوفيسكى تورجي Moskovskiye Torgi، (الآباء والأبناء) أو رودتلي وبرفوكلاسنيكي Roditeli i Pervoklassniki، شاستليفايا زفزدا أو Shastlivaya Zvezda.

- فتشرنايا موسكوفا: صحيفة يومية مسائية

٣ـ الراديو والتليفزيون:

مركز التليفزيون : قناة تليفزيونية تأسست ١٩٩٧ معنية بالعاصمة ولكنها تشاهد في كل ربوع روسيا.

- موسكو ٢٤ : Moscow ٢٤
- قناة تليفزيونية إخبارية على مدار الساعة
- مركز الراديو: Radio Center

تأسس عام ١٩٩٧ بقرار من عمدة موسكو وتدير محطات الرياضة ومحطة Govorit Moskova في العاصمة فضلا عن شبكة محلية.

وسائل الإعلام التي تمتلك الدولة أغلب أسهمها ومن ثم تديرها

١ـ وكالات الأنباء: لا يوجد

٢ـ الصحف المطبوعة:

- فيرمايا نوفوستي Vremaya Novostii:

تصدر خمس مرات أسبوعياً مركزة على الحياة السياسية والاجتماعية، تملكها رسميا دار نشر غير ربحية تحمل نفس الاسم، وهي ذات روابط قوية مع (ألكسندر فولشين) الذي كان يرأس الإدارة الرئاسية الروسية من ١٩٩٩ إلى ٢٠٠٣، وخطها ليبرالي ناقد للحكومة أحياناً.

٣ـ الراديو والتليفزيون:

- القناة الأولى الروسية، التي تعتبر أكثر القنوات مشاهدة في كل روسيا Channel 1.

وسائل الإعلام التي تتحكم فيها الدولة بشكل غير مباشر

١ـ وكالات الأنباء:

- وكالة أنباء ريجنم Regnum News Agency

تأسست في يوليو ٢٠٠٢، ولها مكاتب في الجوار القريب لا سيما دول القوقاز ووسط آسيا، ويرجح المراقبون أنها الذراع الإعلامي للمخابرات الروسية الـ FSB، وريثة الـ KGB السوفيتية.

٢ـ الصحافة المطبوعة:

- مجموعة الأيام السبعة: التي تنشر مجلات: الأيام السبعة، itogi، كرافان استوري Karavan Istoriy، تربيونا Tribuna.

٣ـ الراديو والتليفزيون:

- مجموعة جازبروم: Gazprom Media

تأسست عام ١٩٩٨ وتملك الأسماء الكبيرة في عالم الراديو والتليفزيون الروسي: TNT, NTV, Plus ومحطات الراديو: صوت موسكو، City FM, FPR ، Relax FM، راديو الأطفال دتسكايا Detskoye Radio ، وراديو إيكو موسكوفي بعد شراءه من مجموعة Most.

وسائل الإعلام المستقلة

١ـ وكالات الأنباء:

- إنترفاكس Interfax:

وكالة أنباء مستقلة تأسست عام ١٩٨٩ ولها أكثر من مكتب فرعي في روسيا ودول الاتحاد المستقلة (دول الاتحاد السوفيتي السابق) والصين ودول اسكندنافيا.

٢ـ الصحافة المطبوعة:

- مجموعة أونيكسيم Onexim Group

يملكها ميخائيل بروخوروف وتتحكم المجموعة بشركة الإعلام القابضة RBK التي تمتلك عدة مواقع إلكترونية هامة متخصصة في الشئون الاقتصادية، وقناة تليفزيون RBK، وجريدة يومية تحمل نفس الاسم وكذا مجلة إخبارية شهيرة بنفس الاسم، فضلاً عن مجلات : F5، Snop، والرائد الروسي Russian pioneer.

- مجموعة إكسبرت القابضة: Expert Media Holding

تأسست عام ١٩٩٥ وتنشر المجلة الأسبوعية المتخصصة في مجال الأعمال المسماة (الخبير) وعدة طبعات محلية من نفس المجلة، فضلا عن مجلة المندوب الصحفي الروسي Russian Reporter.

- مجموعة ميديا ٣ Media ـ٣

obeikan.com

تأسست عام ٢٠٠٧ وتدير الأصول الإعلامية لشركة (بروم سافيان) التي تتضمن مجلات: الحقيقة والرأي Argumenty i Fakty، ترود Trud أو العمل، ودارين للنشر هما: إكسترا إم، سنتر بلس.

وصحيفة أرجومنتي إي فاكتي (Aif) تأسست عام ١٩٧٨ وجذبت جمهوراً كبيراً وبلغ عدد قرائها ٣٣ مليون في ١٩٩٠، قل قراؤها كما حدث لكل الصحف الروسية ولكنها تظل الصحيفة العامة الأكثر قراءة بما يميزها من مزج التحليل والتوقع السياسي بالحس الوطني بالمقابلات مع الشخصيات المؤثرة وملاحقها الجهوية التسويقية.

تمتلكها مجموعة تحمل نفس الاسم وبنك (برمزفايز) أكبر البنوك الروسية وتصف قرائها بأنهم من العمال ورجال الأعمال المثقفين والسياسيين والمدراء وتتبع الخط الوطني لبوتين، وأسهمها من نوع (ZAO) أي يتم تداولها بشكل مغلق.

- دار نشر كومرسانتKommersant Publishing House

تأسست عام ١٩٨٩، وتصدر الصحيفة اليومية التي تحمل نفس الاسم والتي تعنى (رجل الأعمال) وعدة مجلات أسبوعية: فلاست (السياسة)، د نجي (البيزنس)، أوجنويوك Ognoyok للشئون الاجتماعية السياسية، لايف ستايل، ومجلة السيارات (أوتوبايلوت) Autopilot ومجلة الشراء الشهرية (كتالوج) والشهرية في مجال الأعمال (سيكرت فيرني)، وكذا النسخة الأوروبية لمجلة (كوفرسانت) ولها محطة راديو وقناة تليفزيون تحمل نفس الاسم.

وصحيفة كومرسانت Kommersant هي الصحيفة اليومية الاقتصادية الرائدة في روسيا، وأكثر الصحف مصداقية وموثوقية وتأثيراً في صانعي القرار الروسي، ونصف قرائها تقريباً من المديرين والمتخصصين.

يملك الصحيفة الآن مجموعة تحمل نفس الاسم وأسهمها يتم تداولها بشكل مغلق وهذا النوع من الشركات يسمى (Zao) وكانت من قبل مملوكة لرجل الأعمال بوريس بيريزوفسكي قبل أن يستقر حتى الآن

في منفاه الذي أجبر عليه . في عام ٢٠٠٦ بيعت إلى إمبراطور صناعة الحديد (علي شير عثمانوف) الذي يعد شريكاً في عملاق الطاقة (جازبروم) والذي يمتلك الحصة الأكبر في نادي الأرسنال الإنجليزي، ويعد عثمانوف مواليا للكرملين وذا علاقات قوية مع عملاق الطاقة (جازبروم)، وعندما أصبح مالكا لمجموعة كومرسانت استقال رئيس تحرير الجريدة (فلاديسلاف برودولين) وحل محله (أندريه فاسليف) حتى عام ٢٠٠٥ ووقتها أعلن أنها ستظل ناقدة للحكومة وتنشر مقالات ربما لا ترضي المالك.

- دار نشر رديونوفا Rodionova Publishing House

تأسست في عام ١٩٩٦، ويملكها (سيرجي روديونوف) وتنشر مجلة أسبوعية تدعى (بروفيل أند كومباني) والمجلات الشهرية اللامعة للرجال FHM ، XXL، كريستينكا، ومجلة الآباء والأمهات (موي مالينكي) أو صغيري.

- دار نشر كومسوملسكايا برافدا Komsomolskaya Pravda Publishing House

تأسست عام ١٩٩٢، تملكها الآن مجموعة (ESN) التي يديرها جريجوري برزكينا، وتصدر الصحيفة اليومية الشهيرة التي تحمل نفس الاسم، والصحيفة الأسبوعية (كي. بي. تولستوخا)، واليومية (تيلي بروجراما)،

وصحيفة التابلويد (إكسبرس جازيتا) واليومية الرياضية (Soviet Sport) ولها محطة راديو وقناة تليفزيونية تحمل نفس الاسم.

وصحيفة كومومولسكايا برافدا أشهر صحيفة نصفية تابلويد في روسيا، ورثت أسمها من الحقبة السوفيتية، وصلت لأعلى قارئية عام ١٩٩٩بحوالي ٢٢ مليون نسخة، ويتميز خطها التحريري بدعم الكرملين والاهتمام بأخبار المشاهير وفضائحهم في روسيا وحول العالم.

تمتلكها مجموعة نشر أسهمها من نوع متداول مغلق (ZAO) والتابعة لمجموعة الطاقة (Yesiv) التي يمتلكها (جريجوري بيرزكين) الذي له علاقات قوية بمجموعة (جازبروم) العملاقة التي تنتهي عندها كل الخيوط تقريباً.

- فيدوموستى: Vedomosti

هي صحيفة يومية اقتصادية تأسست عام ١٩٩٩، تنشر بالتعاون مع صحيفة (وول ستريت) وصحيفة (فايننشيال تايمز) وترجع ملكيتها إلى شركة Business News Media، والتي تملكها مجموعة بيرسون عابرة القومية كندية المنشأ، وشركة داوو جونز، مع مجموعة سانوما للنشر الفنلندية، وأسهمها من نوع (ZAO) وهي لا تديرها مؤسسة روسية ولذلك فإن قانون ٢٠١٤ وضعها في موقف حرج إذ تجد لزاماً عليها أن تديرها شركة إعلامية روسية.

- نوفايا جازيتا: Novaya Gazeta

أهم صحيفة معارضة روسية تأسست عام ١٩٩٣، كانت تصدر ٣ مرات أسبوعياً وأصبحت تصدر يوميا، وخطها المعارض ليبرالي، تشتهر بصحافتها الاستقصائية وتغطيتها الناقدة للحياة السياسية والاجتماعية في روسيا.

وخلال ٨ سنوات من ٢٠٠٠ـ ٢٠٠٨، لقي ٤ من صحفيي نوفايا جازيتا مصرعهم منهم الصحفية الاستقصائية والناشطة الحقوقية (أنّا بوليتكوفسكايا) ولم يتم التوصل لمرتكبي هذه الحوادث، وتمتلكها مجموعة نشر تحمل

نفس الاسم التي تعرف نفسها على أنها مستقلة وغير ربحية يملكها العاملون بها، ولكن في يونيو ٢٠٠٦ امتلك ٤٩٪ من أسهمها أخر رئيس سوفيتي ميخائيل جورباتشوف ورجل الأعمال (ألكسندر ليبيديف).

- مجموعة نيوز ميديا: News Media

يملكها (آرام جابريلينوف) والتي تدير أشهر صحيفة تابلويد روسية (جيزن) Zhizn وصحيفة إزفستياIzvestiya ، وصحيفة Tvoy Dyen، ومجلةHeat ، والموقع الإلكتروني Life، وقناة تليفزيون Life.

وصحيفة إزفستيا Izvestya صحيفة يومية تأسست في الحقبة السوفيتية،وتملكها مجموعة نشر تحمل نفس الاسم وبيعت عام ٢٠٠٥ لمجموعة (جازبروم ميديا) الحكومية ومن وقتها تبنت خطاً مواليا للكرملين،

وفي ٢٠٠٨ امتلكت أغلب أسهمها شركة (سوجاز) للتأمين التي يمتلكها بنك روسيا في سان بطرسبرج والمشارك في ملكيته رجل الأعمال (يوري كوفاليتشك) الذي يقال أنه الشريك الرئيس للرئيس بوتين، وأسهمها ذات تداول مفتوح OAO.

- صحيفة موسكوفيسكي كومسومولیتس Moskovsky Komsomolets

صحيفة يومية تنحو إلى انتقاد الحكومة الروسية الاتحادية ولكنها تدعم حكومة موسكو وخاصة عمدتها (يوري لوجكوف)، يتم انتقادها بأن خطها التحريري يؤسس لكراهية للأجانب ولغتها تحفل بالكراهية العنصرية، تملكها دار نشر تحمل نفس الاسم ويرأس تحريرها (بافيل جوسييف) الذي يعتقد أنه يشارك في ملكيتها وشركتها ذات تداول مغلق.

- نيزافيزيمايا جازيتا: Nezavisimaya Gazeta

صحيفة يومية تصدرها في موسكو شركة النشر التي تحمل نفس الاسم، تركز على تحليل الأحداث السياسية والاجتماعية، وكان يملكها رجل الأعمال المبعد (بوريس بيريزوفسكي) بيعت للمدعو (قسطنطين ريمتشكوف) عام ٢٠٠٥ الذي كان مستشاراً للحكومة الروسية والذي أصبح عام ٢٠٠٧ رئيس تحريرها.

٣ـ الراديو والتليفزيون:

- مجموعة الإعلام الوطني National Media Group

تأسست عام ٢٠٠٨، وهي عبارة عن مجموعة تضم عدة شركات ورجال أعمال هم: AB Russia ، إلكسي موردیشوف، ومجموعة Surgutnefte gaz ، وشركة التأمين (سوجاز).

وفي يونيو ٢٠١١ اشترت شركة RTL الأوروبية أسهمًا فيها وتدير محطات تليفزيون: Petersburg Channel 5، قناة REN، ولها أسهم في مجموعة STS الإعلامية.

- مجموعة بروف ميديا: Prof Media

تأسست عام ١٩٩٧، وهي جزء من مجموعة تسمى إنتروس Interros يملكها (فلاديمير بوتانين) وهي تدير قنوات تليفزيون: 3ـTV ، 2×2، MTV Russia ، ومحطات راديو: Avto Radio ، Energy ، Humor FM ، ـ R mantika ، ولها عدة صحف أشهرهم مجلة (لايف ستايل)، ولذا فهي شريك دار نشر كومرسانت.

- مجموعة يوتيفي القابضة: Yutv Holding

تأسست عام ٢٠٠٩ من التقاء رؤوس أموال كلا من: إيفان تافرن وعلي شير عثمانوف وأشهر قنواتها الموسيقية: MUZ– TV وقناة ـ7 TV

- مجموعة إس تي إس STS Media

معظم أسهمها تملكها الشركة السويدية Modern Times ، وشركة الغاز (إترنا)، ومجموعة الإعلام الوطني، وتدير ٣ قنوات تليفزيونية: منزلي Domashny، Peretz أو الفلفل STS .

وستة من الصحف العشرة الرئيسية في روسيا هي شركات اقتصادية ربحية أسهمها تدار في البورصة الروسية ولكن بشكل غير علني أي سوق مغلق على شركات بعينها ويشار اختصارا لهذه الشركات باختصار (ZAO).

وسبعة من بين العشرة يملكها رجال أعمال ذوي علاقات وثيقة بالحكومة الروسية ولذا فالمتغير الأهم ليس نوع أسهمها أو بنيتها الرسمية بقدر مستوى ولائها للحكومة التي (فعلياً) تمتلك دور النشر هذه، ودرجة تدخل الحكومة في عمل هذه الصحف.

وسائل الإعلام الروسية التي تخاطب الجمهور الخارجي

أولاً: الخدمة الإخبارية لوكالة أنباء روسيا اليوم (رايا نوفوستي سابقا)

تحولت في فبراير ٢٠١٤، وتقدم خدماتها الإلكترونية الإخبارية السبعين بـ١٤ لغة مختلفة هي: الروسية والإنجليزية والألمانية والفرنسية والأسبانية والفارسية والعربية، والصينية واليابانية والأرمينية والأذربيجانية، والجورجية، والكازاخية، والمولدوفية.

وللوكالة عدة خدمات خاصة:

١- جريدة أنباء موسكو وهي النشرة العربية (موسكو نيوز)، وهي صحيفة شهرية تأسست عام ١٩٦٩ وظلت متواجدة حتى ١٩٩٢، ثم أعيد إطلاقها إلكترونيا في أكتوبر ٢٠٠٩ بعد انقطاع دام ١٧ عامًا.

٢- الملف الروسي: وتتكون من خدمة إلكترونية Russia Profile.org

والتي ينشر تقارير فصلية متخصصة باللغة الإنجليزية، وهو شائع بين الصحفيين المجيدين للإنجليزية.

٣- فكرة جديدة عن العلاقات الروسية الهندية:

مجلة تصدر باللغة الإنجليزية وهي الجريدة الوحيدة التي تقدم معلومات عن روسيا للقراء الهنود وتصدر ٦ مرات في السنة.

ثانيًا: الخدمات الإخبارية لوكالة أنباء (إيتار تاس)

ثالثة أكبر الوكالات الإخبارية الروسية والمتخصصة أيضًا في الصور والوسائط المتعددة وتقدم تقاريرها المحدثة عن روسيا بالروسية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والإسبانية والعربية.

ثالثًا: تليفزيون روسيا اليوم RT

قناة تليفزيونية إخبارية على مدار الساعة تأسست عام ٢٠٠٥ لتغطي العالم أجمع ولها ٣ قنوات تبث بالإنجليزية والإسبانية والعربية، وأصبح الاختصار RT بمثابة اسم تجاري حتى لا يختلط مع وكالة (روسيا اليوم) الجديدة.

رابعًا: مجموعة إنترفاكس للخدمات المعلوماتية

تضم ٣٠ شركة تتحكم في شبكات قومية وإقليمية ودولية تضم وكالات الأنباء التابعة لروسيا ودول الاتحاد السوفيتي السابق وكذا دول وسط وشرق أوروبا والصين.

خامساً: راديو سبوتنيك (**صوت روسيا سابقا** The Voice of Russia)

راديو دولي تموله الحكومة الروسية منذ عام ١٩٢٩، وتم تصفيته ٢٠١٤ ودمجه مع وكالة روسيا اليوم، وتحويل اسمه إلى راديو سبوتنيك.

سادسًا: روسيا فيما وراء العناوين

وهو الملحق الخارجي للمجلة الشهرية (روسيسكايا جازيتا) التي تنشر أخبارًا عن الحياة في روسيا منذ ٢٠٠٧ وهي مندمجة شبكيًا من عدد من الصحف الرائدة حول العالم مثل التايمز البريطانية .

***

openkan.com

مراجع الفصل

١ـ محمد فراج أبو النور: هيكلة الإعلام في المراحل الانتقالية: خبرات عربية ودولية، موقع الائتلاف الوطني لحرية الإعلام، http://ncmf.info/?p=3570

2- Alexander Merkushev, the Russian and Soviet Press: A Long Journey from Suppression to Freedom, the Joan Shorenstein Barone Center, JFK School of Government, Harvard University, August 1991. pp.12-14.

3- Brigitte Hopstad, the Russian Media under Putin and Medvedev: Controlled Media in an Authoritarian System, MA Thesis, Department of Sociology and Political Science, Faculty of Social sciences, University of Science and Technology, Norway NTNL, Feb 2011, pp.8486-.

4- David Wedgwood Benn, The Russian Media in Post-Soviet Conditions, Europe-Asia Studies, 48(3), 1996. Pp. 471 – 779.

5- DLA Piper, Navigating the New Russian Media Law, @ www.dlapiper.com.

6- Elena Rodina, How Publication Type, Experience, and Ownership affect Self- Censorship among Moscow Newspaper Journalists, MA Thesis, Department of Russian and East European Studies, University of Oregon, USA, June 2010.

7- Katherine Ognyanova, Careful What You Say: Media Control in Putin's Russia, International journal of E-politics, 1(2), 2010, pp. 115-.

8- Laura Belin, The Russian Media in the 1990's, Journal of Communist studies and Transition Politics, 18 (1), 2002. Pp. 139160-

9- Peter Pomerantsev, Russia: A Postmodern Dictatorship, Global Transitions, Institute of Modern Russia, October 2013, pp.

10- Rutger Von Seth: The Language of the Press in Soviet and post -Soviet Russia: Creation of the Citizen Role through Newspaper Discourse, MA thesis, Department of Politics, University of Glasgow, 2011.

11- Wenjie Zhang: The Post-Soviet Russian Media Reform, MA Thesis, University of North Carolina at Chapel Hill, Center of Russian and East European studies, 2006, pp. 210-

***

obeikan.com